عن العلاقات التي تربط بينهم. فـ«فوتران» مثلاً «عريض المنكبين، بارز الصدر، غليظ العضلات، خشن اليدين، وعلى وجهه سمة من الصلابة بالرغم من حسن معاشرته ومرونة حديثه»[٦٧]، والأب «غوريو»، الذي كان في العقد السادس، ذو مدمع مقلوب، منتفخ، متدل، يضطره غالباً إلى مسحه[٦٨]. ويذكر بالزاك السمة الجسدية البارزة في الشخصية من حين لآخر كمدمع غوريو، وأرنبة أنف الآنسة «دوبريون». ولا يكتفي بالزاك بهذا، بل نراه يتغلغل حتى في الملابس الداخلية لشخصياته كما يفعل على سبيل المثال بالسيدة «فوكه» ذات التنورة «الداخلية المصنوعة من الصوف المشغول بالإبرة»[٦٩]. وهذا ما نجده عند «تولستوي» أيضاً. ومن لا يذكر «بطرس بيزوخوف» ببطنه البارز وهيئته القبيحة، والعجوز «بولكونسكي» الغضوب الوجه[٧٠]؟!.

ب) البعد الفكري. إن التفكير عند الكتاب البارعين ليس مجرداً عن الشخصية أو معلقاً في السماء، بل إنه يضرب بجذوره في أعماق هذه الشخصية الإنسانية التي تتحدد بعض سماتها من خلاله، كطريقة التفكير التي تتجلى في الحوار، والتعصب إلى فكرة معينة، وأسلوب الدفاع عن تلك الفكرة وتبريرها، وما إلى ذلك. وفي هذا المجال يؤكد «جورج لوكاتش» أن أفلاطون في «مأدبته» يقدم لنا شخصيات تمتاز بصفاتها الفردية الخاصة في التفكير الذي أضفى على كل فرد صبغة معينة، وحدده بسمة عميقة، كأسلوب الفرد في معالجة المسألة و«في ما يتبناه كمسلمة لا تحتاج إلى برهان، وفي ما يقدم له البرهان، وكيف يسوق البرهان، ومستوى التجريد في أفكاره، ومصدر أمثاله الحسية، وما يهمل أو يقفز عنه»[٧١]. وهكذا فإننا نستطيع القول إن التفكير في عملية النمذجة يجب أن لا يتخذ هدفاً في ذاته، بل يجب أن يكون وسيلة من وسائل تحديد سمات النموذج الأدبي. إن دوستويفسكي لم يكن يستهدف التلذذ حين يعري جهاز النفس البشرية، ويغوص في أعماق شخصياته، ويدلل على دقائق أفكارهم محللاً إياها. أقول: إنه لم يكن يستهدف التلذذ وإنما يستهدف تحديد خصائص نماذجه الفكرية والروحية بالإضافة إلى استبصار ظروفهم ومحيطهم الذي يتحركون فيه.